صليب المسيح: صانع السلام بين اليهود والامم

أفسس٢: ١١-٢٢

د. جوني عوّاد

في بداية الإصلاح الثالث، يتحدث كاتب الرسالة الى افسس[1] عن درايته "بسر المسيح"[2] (٣:٤) والذي اعطي له من خلال اعلان، والذي اصبح له خادما بفعل نعمة الله وقوته (٣:٧). محتوى هذا السر هو ان الامم (غير اليهود) اصبحوا "شركاء في الميراث والجسد ونَوَالِ موعده في المسيح بالانجيل" (٦:٣). باختصار، سر المسيح هو ان الامم (ليس شعب الله المختار) اصبحوا بسبب المسيح شركاء لإسرائيل (شعب الله المختار) في الميراث والموعد.

افسس ٢:١١-٢٢ هو نص تأملي في هذا السر. يتأمل الكاتب في ما احدثه الحدث الالهي بيسوع المسيح من تغيير في مكانة الأمم ليس فقط لجهة علاقتهم باليهود، بل ايضا لجهة علاقة كل من اليهود والامم مع الله (٢: ١٦).

ورود كلمة "سلام" (باليونانية eirene) اربع مرات في ٢: ١٤- ١٧، وذلك بهدف القول إن المسيح سلامنا (١٤:٢)، أي سلام البشرية، نقض بجسده على الصليب العداوة بين اليهود والامم، صانعا سلاما بينهما، لكي يخلق من الاثنين في نفسه إنسانا واحدا جديدا (١٥:٢)، مصالحا الاثنين ليس فقط مع بعضهم البعض انما ايضا مع الله (١٦:٢)، مبشرا بالسلام للقريبين والبعيدين – ما هو إلاّ دلالة على مركزية السلام في التأمل بسر المسيح.[3]

يُستشف مما قيل حتى الآن ان هناك عداوة بين اليهود والامم حالت دون إرساء السلام بينهما، وبالتالي احبطت الشراكة والشركة بين بعضهم البعض. الخبر السار الذي ينبيء به النص ان هذه الحالة انعكست وانقلبت بسبب ما أسس له المسيح على الصليب.

في ما يلي سأعرض لأفسس ٢: ١١-٢٢ مقسما النص الى ثلاثة اقسام، هي كالتالي:

القسم الاول: ٢: ١١-١٣ يطرح فيه الكاتب بايجاز التباين في وضع الامم ماضيا (بعدهم وغربتهم عن اسرائيل وإلهها) وحاضرا (قربتهم).

القسم الثاني: ٢: ١٤-١٨ يشرح

١- انطلق في هذه المقالة من النظرية القائلة ان رسالة افسس ليست من يد الرسول بولس انما كتبت من قبل احد تلاميذه. لهذا السبب لن انشيء اي مقاربة بين الرسالة و باقي الرسائل البولسية الأصيلة وسأكتفي بتحليل للنص كما يرد في سياق الرسالة الى افسس.

٢- كل الشواهد الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني–فانديك.

٣- لا يمكن حصر اهتمام الرسالة بموضوع السلام بالنص قيد البحث. اضافة الى ورود كلمة "سلام" في مقدمة الرسالة (١:٢) وخاتمتها (٢٣:٦)، فهي ترد في نصين آخرين. النص الاول هو ٤:٣ والذي يطلب فيه الكاتب من قرائه الحفاظ على وحدانية الروح في جسد المسيح الواحد (الكنيسة) برباط السلام. والنص الثاني هو ٦: ١٤-١٥ والذي يحض فيه الكاتب قرّاءَه على ان يثبتوا ممنطقين احقائهم بالحق ولابسين درع البر حاذين ارجلهم باستعداد انجيل السلام. ان النص قيد البحث، بالاضافة الى هذه النصوص، واضحت في ان الرسالة المؤتمنة عليها الكنيسة هي الكرازة بخبر السلام السار (انجيل السلام)، الحدث الالهي على الصليب للبشرية جمعاء. وان يكون هذا السلام رباط المؤمنين بعضهم ببعض ونور لسبيلهم في هذا العالم (حاذين ارجلهم باستعداد انجيل السلام).

الاسباب التي قلبت الغربة الى قرابة (عمل المسيح على الصليب – صانعاً سلاما).

القسم الثالث: ٢: ١٩–٢٢ وصف موجز للكنيسة يؤكد وجود الامم فيها وتشبيهها لبناء وهيكل.

هذا العرض لا يشمل كل التفاصيل في النص انما يركز على الافكار الاساسية فيه.

القسم الاول (اف ٢: ١١–٣١)

في إعداد الافتتاحية للنص يتوجه الكاتب بشكل مباشر الى قرّائه المسيحيين من خلفية أممية: "لذلك اذكروا انكم انتم الامم قبلا في الجسد المدعوّين غرلة (الامم) من المدعو ختانا (اليهود) مصنوعا باليد في الجسد" (٢:١١) . ويتابع الكاتب في وصفه لهؤلاء مشيرا الى انه قبل ايمانهم بالمسيح كانوا "بدون مسيح اجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد"، بلا رجاء، "وبلا إله في العالم" (٢:٢١).

في هذا العرض تبنٍّ واضح من قبل الكاتب للنظرة اليهودية للامم. لكن الملفت للنظر هو فرضية الكاتب المطروحة في ٢:١٢ ان المسيح حاضر في تاريخ اسرائيل الماضي مع الله حتى قبل تجسده (بدون مسيح). كأن الكاتب يقول في هذا الطرح ان تاريخ اسرائيل هو تاريخ امل ورجاء، تاريخ بدأ مع الاباء ومن ثم الانبياء ويسير قدما بسبب عهود عدة الى وعد اخير يشكل ذروة هذا التاريخ، ويتحقق الوعد بمجيء وعمل المسيح. ان تاريخ اسرائيل، رغم انحصاره بعلاقة الله بعرق واحد في الماضي كشعب مختار له، متى وصل الى ذروته سينفتح على كافة الشعوب والعرقيات ليتخذ الله منها شعبا مختارا له. لكن هذا الانفتاح مرتبط ارتباطا وثيقا بمجيء وعمل المسيح. اسرائيل في ذروة علاقتها مع الله لن تكون من عرقية واثنية واحدة، بل ستكون شاملة وذلك بفضل عمل المسيح.

ان مجيء المسيح اوصل هذا التاريخ الى ذروته، وبوصوله عكس وقلب حال الامم الذين آمنوا به. بعد ان كانوا بدون مسيح (اي خارج تاريخ اسرائيل المتحرك والقابل للانفتاح في المستقبل) اجنبيين، غرباء عن عهود الموعد، بلا رجاء وبلا إله في العالم، اصبحوا الآن "قريبين" (٢:١٣).

يَرُد الكاتب هذه القربة الى دم المسيح. اي ان دم المسيح كان كشّف وأعلن ان اسرائيل الحقيقية في القصد الالهي تتخطى العرق الواحد لتضم البشرية جمعاء. اف ٢: ١١–١٣ هو اعادة تعريف بهوية اسرائيل وشعب الله المختار، وربط وثيق لهذه الهوية بما أنجزه المسيح على الصليب.

القسم الثاني (اف ٢: ١٤–١٨)

بعد ان عرض الكاتب بايجاز لحال ووضع الامم ماضيا وحاضرا، يتوسع الان بتحليل أكثر عمقا لمسببات المشكلة ومن ثم حلها. يربط الكاتب بُعد الامم وغربتهم عن اسرائيل لوجود عداوة، مشبها هذه العداوة بـ"حائط السياج المتوسط" (٢:١٤). لكن ما هو حائط السياج المتوسط هذا؟ النص واضح في تشخيص المشكلة. العداوة ناتجة عن "ناموس الوصايا في فرائض" (٢:١٥).

غالبا ما كانت الشريعة الموسوية، على الاقل بالفكر اليهودي، تشبه بسياج او حائط يحمي شعب اسرائيل من دناسة الامم، محافظا على طهارة حياتها وضامنا لبقائها منعزلة ومنفصلة عن باقي الشعوب. هذا لا يعني بالضرورة ان هذا هو السبب الرئيسي الذي من اجله اعطيت الشريعة. على الارجح هذا الفكر بالنسبة إلى الشريعة بدأ يبرز ويقوى كلما ازداد اختلاط شعب اسرائيل بباقي الشعوب غير اليهودية. الشريعة وفرائضها كانتا المكونات الاساسية للهوية اليهودية. خيرُ تعبير عن هذا الفكر هو في ما تقوله رسالة اريستيس، احدى الكتابات الأبوكريفية من القرن الاول قبل الميلاد:

"واهب شريعتنا (الله)... سيّجنا بسياج من اوتار خشبية لا يمكن خرقه، وبجدران من حديد كي لا نختلط باي طريقة ما بباقي الامم، وان نبقى اطهاراً في الجسد والروح (١٣٩)... وان لا نتدنس بأحد أو نصاب بانحرافات من خلال مصادقتنا لأشخاص عديمي القيمة، فهو سيّجنا من كل النواحي بما يقضي من طهارة في امور الطعام والشراب واللمس والسمع والبصر." (١٤٢؛ ترجمتي من اللغة الانكليزية)

هذه النظرة للشريعة، وبالتالي للامم، كونت ردة فعل لدى شعوب الامم بنفس المستوى. المؤرخ الروماني تاسيتس في القرن الاول ميلادي والذي يتحدث بإسهاب عن تاريخ وطبيعة اليهودية يذكر

ان اليهود يعتبرون كل ما هو مقدس للامم دنس، وبالتالي يسمحون بكل ما يبغضه هؤلاء. يتابع تاسيتس ان تقاليد اليهود بغيضة وحقيرة، وتمسكهم بها ما هو إلا دلالة على فسادهم. كأمة هم اهل وفاء لبعضهم البعض ودائما حاضرون ليظهروا شفقتهم، لكن تجاه غيرهم من الشعوب يشعرون بالعداوة والخصوم (Histories V, iii-v).

العداوة بين شريحتي البشرية كانت متبادلة، واقعية، حقيقية وملموسة، وسببها "ناموس الوصايا في فرائض". هذا على الاقل ما يشير اليه النصان المذكوران اعلاه.

الخبر السار في النص من افسس هو ان العداوة، المشبهة بحائط السياج المتوسط، والمتمثلة بناموس الوصايا في فرائض، نقضها المسيح بدمه على الصليب. بموته على الصليب نقض المسيح الشريعة. كيف حصل ذلك؟ الكاتب لا يخبرنا ولا يتفكر في هذا الموضوع. هو يكتفي بالاشارة الى ان موت المسيح كان كافيا لنقض الشريعة وابطال العداوة بين اليهود والامم صانعا بذلك سلاما. عملية النقض هذه عكست وقلبت وضع الامم واحضرتهم من بُعدهم وغربتهم عن اسرائيل والله وصيرتهم قرباء.

ان تأسيس السلام، من خلال الصليب، لم يكن يقتصر على بعده الافقي (اي سلام بين اليهود و الامم) انما تعداه الى بعده العامودي (المصالحة بين اليهود والامم من جهة و الله من جهة اخرى). في اف ٢:١٦ يقول الكاتب: "ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به." هذا يعني ان اسرائيل هي ايضا في غربة عن الله رغم عدم الاشارة الى ذلك في الاعداد الافتتاحية للنص. ان الانقلاب في وضع الامم أدى ايضا الى تغير في علاقة اسرائيل مع الله. الشريعة التي كانت المسبب الاساسي للعداوة والغربة بين اسرائيل والامم ادت ايضا بشكل ما الى غربة بين اسرائيل و الله.

بدم المسيح على الصليب نُقضت العداوة بين اليهود والامم، وفي جسد واحد صالح الاثنين مع الله، جاعلا من الاثنين واحدا (٢:١٤)، انسانا واحدا جديدا صانعا سلاما (٢:١٥). الصليب افرز خليقة جديدة. هذه الخليقة الجديدة هي عرق ثالث ان صح التعبير، تتخطى امية الامم و اسرائيلية اسرائيل.

هذه الخليقة الجديدة، المتمثلة بسلام بين اليهود والامم ومصالحة الاثنين مع الله، هي الكنيسة، جسد المسيح (١: ٢٢-٢٣). وحيث هناك جسد واحد، الروح الذي يعمل هو ايضا واحد (٢:١٨). ورغم ان الخليقة الجديدة هي في استمرارية مع اسرائيل، لكنها ايضا في علاقة لا – استمرارية معها كون ان اسرائيل هي ايضا في غربة عن الله وبحاجة الى مصالحة معه كما يقول الكاتب في ٢:١٦. ان الخليقة الجديدة، اي الكنيسة، هي اسرائيل الحقيقية، التي وصلت الى ذروتها وذلك بفضل عمل المسيح لتنفتح على باقي شعوب المسكونة وينتقي منها الله شعبا مختارا له.

القسم الثالث (اف٢: ٨١-٢٢)

حرصا منه على ان لا يكون فهمه للكنيسة فهما عاما، يرجع الكاتب ليؤكد للمسيحيين من خلفية امية على اهمية مكانتهم ووجودهم ودورهم في الكنيسة. لذلك يصر الكاتب: "فلستم اذا بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين واهل بيت الله" (٢:١٩). والملفت ان قربة الامم ليست قربة من رعوية اسرائيل لأن اسرائيل هي ايضا بحاجة الى اعادة تأهيل. الامم الآن هم رعية واحدة مع القديسين واهل بيت الله.

للتأكيد على مكانة الامم في جسد المسيح الواحد (الكنيسة) يلجأ الكاتب الى الاستعارة من تشبيه البناء. الامم هم جزء لا يتجزأ من مركب البناء الذي حجر زاويته هو المسيح. والمسيح هو المعيار والمقياس لحجارة البناء المكونة من رسل وانبياء. الامم هم جزء من هذا البناء، لم يعودوا غرباء بل من اهل بيت الله. والبناء هذا كله مركب معا ينمو هيكلا مقدسا. البناء هو في حالة نمو و لم يكتمل بعد. هذا يعني ان الكنيسة هي في عملية نمو وتطور. فهي غير مكتملة في نموها بالقداسة، انما تنمو فيها على رجاء ان تكتمل. اف ٢: ١١-٢٢ هو نص تأملي "بسر المسيح" الذي جعل من الامم (ليس شعب الله المختار) شعبا لله. بموته على الصليب لم ينقض العداوة بين اليهود والامم ليصنع سلاما فحسب ، بل جعل ايضاً من الاثنين انسانا واحدا جديدا (خليقة جديدة)، وصالح الاثنين في جسد واحد (الكنيسة) مع الله.

المراجع

1- Lincolin, Andrew, *Ephesians,* Word Biblical Commentary 42, Dallas Word Book, 1990.

2- MacDonald, Margaret, *Colossians, Ephesians.* Edited by Daniel Harrington, Sacra Pagina 17. Collegeville: The Liturgical Press, 2000.

3- Mauser, Ulrich, *The Gospel of Peace: A Scriptural Message for Today's Church,* Louisville: Westminster/John Knox Press, 1992.

4- Stuhlmacher, Peter. "He Is Our Peace" (Eph 2:14): On the Exegesis and Significance of Eph. 2:14-18." In *Reconciliation, Law and Righteousness: Essays in Biblical Theology,* Philadelphia: Fortress Press, 1986.

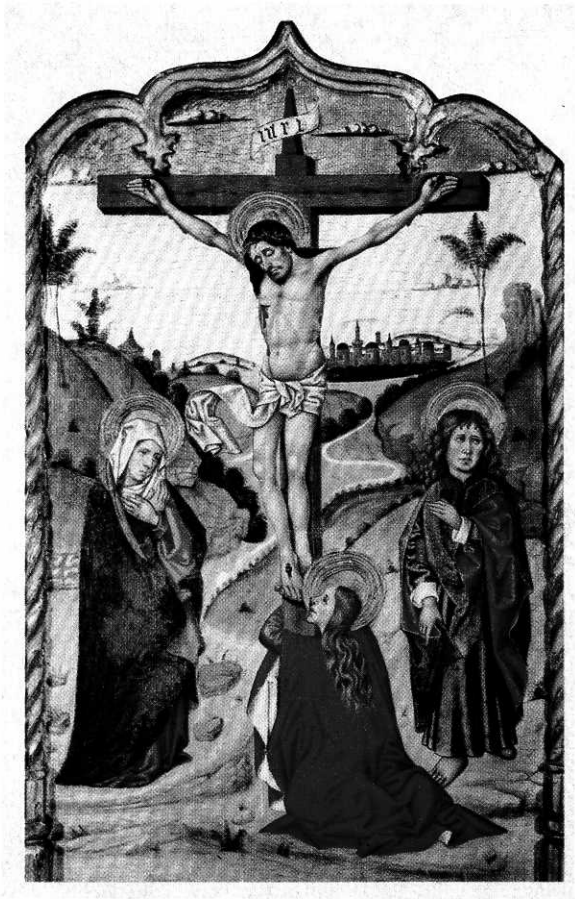

مشهد الصلب للفنّان خوان دو أبديا –Juan de la Abadia
(نهاية القرن الخامس عشر) متحف الفنّ الكاتالاني، برشلونة